اللقاء الثلاثون من لقاءات التفسير
في شهر رمضان المبارك من عام ١٤٣٧هـ

الرابحون وحالهم بعد رمضان

أ. أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

-منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

-هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

-الكمال لله -عزَّ وجلَّ- فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله –عزَّ وجلَّ– كما أحسن لنا ومدّ في أعمارنا، ونفعنا بهذا الشهر الكريم بالصلاة والصيام وقراءة القرآن، أن يتقبَّل منَّا ويحسن لنا الختام، ونرجو منه –سبحانه وتعالى– ألَّا يجعل هذا آخر عهدنا بهذا الشهر الكريم، وأن يمدّ في الأعمار مع زيادة الإيمان، وأن يجعل ما هو آتٍ خير مما هو ماضٍ من أعمارنا، اللهم آمين.

هذا الشهر الكريم كأعمارنا وكعادته يأتي سريعًا ويمضي سريعًا، ولا بد من أن يسير كل شيء في الحياة، ولا بد أن نودِّع مَن أتى واستبشرنا به، نودّع نهاره الجميل بالصيام ولياليه العطرة بالقيام، ونودّع فيه المناجاة التي كانت تطول، وتحرِّي ليلة القدر الذي كان فيه الشوق يحدو السائرين في تلك الليالي، فإذا ودَّعنا هذا استقبلنا أيامًا ننتفع فيها من شهرنا، فإن رمضان سوق قام فأخذ كل منَّا يتاجر فيه ثم انفضّ السوق، ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر، فمن كان محسنًا فليحمد الله وليسأل الله القبول وليأخذ من هذه الأرباح زاد ينفقها على عمره في عامه الذي يستقبله، ومن كان مسيئًا فليتب إلى الله والعذر قبل الموت مقبول والله يحب التوَّابين. نسأل الله أن يغفر لنا ولكم ما سلف من الزَّلل، وأن يوفِّقنا وإياكم للتوبة النصوح قبل حلول الأجل.

لكننا نناقش الآن الرابحين الذين خرجوا بربح من هذا الشهر كيف يكون حالهم ابتداءً من هذا اليوم إلى أن نلقى رمضان مرة أخرى؟

أولًا: لا بد أن نذكِّر أنفسنا أن هذه الأيام التي تمر تقرِّبنا من آجالنا، قال الحسن البصري رحمه الله: "يا ابْنَ آدَمَ، إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمك ذَهَبَ بَعْضُكَ"[1].

فإذا فهمنا هذا، وفهمنا أن الأيام تُقطع بنا لنصل إلى الله –عزَّ وجلَّ– وهذا أمر معلوم ما فيه مزايدة؛ لأن كل يوم من أيامنا متجرًا رابحًا، ونظرنا له على أنه فرصة سانحة، لينقل الإنسان نفسه من النقص إلى الكمال ومن الضعف إلى القوة.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (١٤٨/٢).

ونبدأ في هذا بعدِّ مجموعة خطوات لكي نصل إلى هذا الشأن الذي نريده، وهو أن نأخذ ربحنا الذي ربحناه في هذا الشهر الكريم ونعيش فيه أيامنا القادمة، مع العلم أن كل يوم من أيامنا سيُقرِّبنا إلى أجلنا، فلا بد أن نعامل أيامنا بهذه الصورة أنها تقرِّبنا من آجالنا.

فنبدأ أولًا ببيان الرِّبح الذي ربحناه من هذا الشهر؛ لكي يكون هو مادة التجارة القادمة، وهذا حال التُّجار أنهم يأخذون أرباحهم ويضاربون بها ويرابحون بها من أجل أن تنموا وتكثر، فنحن سنأخذ أرباحنا من هذا الشهر نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن نكون من الرابحين المقبولين التائبين المستغفرين، نأخذ أرباحنا ونُقبل على أيام عُمرنا بها.

ماذا ربح الصائمون في رمضان؟

أول الأرباح وأهمها:

أننا ذقنا شيء من معاملة الله.

كانت هذه الأيام فيها قوة تعامل مع الله، والمعنى أن الناس في حياتهم العامة دون شهر رمضان يكون لهم سبحًا طويلًا في الدنيا، في كل يوم يجرّ لهم همّ لا زال في الدنيا، وتجد معاملتهم مع ربهم مختصرة جدًا، معاملتهم مع ربهم مُختصرة على الصلوات السريعة والأذكار التي هي بمثابة البرق! النائم نائم فيها والغافل غافل فيها والله أعلم بأحوالهم وقت ذكرهم، وتجده يتعجّل في كل ما يتصل بشأن دينه وصلته بربه، فغالبًا أنه يفقد لذة التعامل مع الله، يفقد لذة الوصل به، فيأتي هذا الشهر فيكون

أعظم أرباحك أنك راجعت أو ذكرّت نفسك أو نبّهتها بقوة الصلة مع الله، تصلّي فروضك وتبذل جهودك أن تجمع قلبك فيها، تُصلي السنن وأنت مُقبل عليها، تقول أذكارك وأنت تحاول أن تركز فيها، ثم أنت في هذا كله مانعٌ بدنك بالصيام أن يُشغلك. ثم يأتي لَيْلك فيكون له طعم خاص، مهموم تريد أن يطاوعك بدنك لتصلي التراويح، ثم تأتي العشر الأخيرة فيزيد الأمر وتريد أن يطاوعك بدنك لتصلي القيام في آخر الليل، فتجد من نفسك نفس زادت وقويت صلتها بالله، اعتنيت بمعاملة الله، هذا من أهم الأرباح التي ربحناها، أننا ذقنا وقت طويل في معاملة الله، فمن ذاق هذا يخرج به ويبدأ يفكر في أيامه المقبلة:

كم عاملت الله؟

كم قرأت كتابه وصلَّيت له وذكرته وشكرته؟

كم مقدار المعاملة مع الله في يومي وليلتي؟

وهذه مسألة غاية في الأهمية، الناس في حياتهم:

١. إما مقبلون على ربهم مُعاملون له.

٢. وإما معرضون عن ربهم مدبرون لا يُعاملونه.

٣. وإما مُذبذبون أحيانًا يقوى تعاملهم مع ربهم وأحيانًا يضعف.

أما المُعرضون فهذا ليس شأننا، الكلام الآن عن المُقبلين والمُذبذبين:

المُقبلون فهموا قوله تعالى: {إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[١]، فهموا أن يومك كلّه ليس بيوم إلَّا إذا ما بقيت تعامل الله. و "**معاملة الله**"، هذه كلمة واسعة تأخذ حالتنا كلها، سواءً كنت تخصّه في المعاملة، تخصه بالمعاملة فتقوم تصلي له أو تصوم، أو تعامله في حال معاملتك لأهل الدنيا كلهم وأنت الآن تعامل جارك، أو تعامل ضيفك، أو تعامل والديك، أو تعامل أبناءك أو زوجك، أنت الآن في الظاهر تعامل غير الله، **والرِّبح الحقيقي** أن تبقى تعامل الله وأنت تعامل الخلق، وأنت تعامل الحياة، والخارج من رمضان تجده عرف معنى معاملة الله بعد أن كان بدنه ضعيف، وهذه الدابة لا تقبل السير، ويشدها يريدها أن تقف في القيام ويشدها يريدها أن تقرأ حزبها، ويشدها ويشدها...فهي ضعيفة وهو يشدّها وهي تقسو عليه، فيقول: يارب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، يطلب من الله –عزَّ وجلَّ– أن يرزقه العون على طاعته، يطلب من الله –عزَّ وجلَّ– أن يمنعه من الزَّلل، يطلب من الله –عزَّ وجلَّ– أن يحفظ عليه لسانه فلا يقع في غيبة، تمر على خواطره خواطر باطلة يفزع مباشرةً إلى الله، فتجده قد ذاق معنى معاملة الله. أن يومه وليله كان معاملةً لله، الرابح الآن الذي سينتفع من تجارته بعد أن ذاق طعم معاملة الله، يخرج وهو تام الثقة بالله، باذلًا جهده ألَّا ينقطع هذا الحبل بينه وبين الله، الذي مدّه بالطاعات والعبادات والذكر وطلب العون، والمحافظة على

(١) سورة الأنعام: ١٦٢.

القلب والخوف من الزَّلل، وحرصٍ على أبواب للطاعة جديدة، يبحث إذا هنا أو هنا باب طاعة، فتجد هذا بفضل الله ذاق فضل معاملة الله، فيأخذ هذا الربح الذي ربحه فيبدأ الآن في المرابحة.

وهنا يأتينا أعظم داء نعاني منه بعدما ذقنا طعم وصل الله: هو داء الغفلة عن المعاملة مع الله، وأنك أنت في يومك وليلتك تعامل الله فتأتيك هذه الغفلة التي هي الداء الخطير الذي يصيب الإنسان ويحوّله إلى أعمى، في مقابل أنه في رمضان انكشفت الغفلة وصار حريصًا أن يدلَّه كل شيء على الله، كل شيء يجعله يذكر الله، كل شيء يجعله يستعين بالله، لدرجة أنه ينظر منظر الشروق فيثير مشاعره لتسبيح الله ولذكره والإيمان به ومعرفة قدرته –سبحانه وتعالى– ، أو يرى منظر المسلمين وهم يطوفون أو يصلُّون ويُقبلون على طاعة الله فيشعر أنه منظرًا مهيبًا، ويقول: ربي ربّ هؤلاء جميعًا وهم ينادونه! لا يمكن لهذه الملايين التي تناديه أن تكون على باطل، بل هي تستجيب لنداء الفطرة، أن لهم رب كريم. فهذا العبد وصله بالله طوال ليله ونهاره.

أمَّا الغفلة الطبيعية فهذه شأننا جميعًا، لكن نريد مِن هذا الرابح أن يكون حذرًا من الغفلة، من يريد أن يرابح في هذه المسألة المهمة وهي الوصل مع الله لابد أن يحفظ نفسه من الغفلة، والغفلة بكلمة مختصرة: هي الانغماس في الدنيا والشهوات ونسيان الآخرة وعدم العناية بالطاعات (يهملها).

ماذا ستكون النتيجة من الغفلة؟!

يجري جريًا خلف الدنيا ويُعمّرها، فإذا عمّر الدنيا خَرِبت الآخرة ولا بد!

نأتي لأعظم داء حقيقي يخسِّرنا الأرباح: وهو الغفلة عن الله وعن ذكر الله وعن التعامل مع الله، يغفل، كان بمجرَّد أن يكسل عن الطاعة يستغيث، يلجأ، يلهج لسانه بقول: "لا حول ولا قوة إلَّا بالله"، يأتي الآن حين تنقطع حبال الصلة بينه وبين معاملة الله تجده ضعيفًا عن الاستعانة بالله، فيجد نفسه في رمضان يصبر على ترك الطعام والشراب ويصبر على أمور تمر عليه، يصبر ويصبر– وهذا أثر الاستعانة، أثر التعلق بالله والتعامل معه–فتجده في حالة مخالفة فقد قدرته على الصبر، فقد قدرته على تذكر أجر الصابرين وما يُعين على الصبر. هذه كله بسبب ماذا؟ كله بسبب الغفلة.

إذا حصلت هذه الغفلة خسرنا هذا المربح العظيم، وهو معاملة رب العالمين، وهي أهم أمر خرجنا به من رمضان وهو أنه شرّع لنا هذا الشهر لنقوى في الانشغال بمعاملة الله، يقوى فينا الاهتمام بما أمر الله، يقوى فينا الشوق لما شوّقنا الله، يقوى فينا التفكير في

النار والعتق منها والجنة وبلوغها. كل هذا الانشغال لا تأتي عليك الأشهر بعد رمضان فتجد نفسك غافلاً عنه؛ لأن هذا الانشغال بالله هو المربح العام الذي وصلنا له.

نأتي الآن إلى الأرباح التفصيلية:

من هذه الأرباح التي تدخل تحت القاعدة العامة، وهي أننا ربحنا قوة التعامل مع الله والانشغال به:

الجهاد مع النفس للقيام بالطاعة.

نجاهد أنفسنا، نعرف أن أبداننا مجرد دابة، وأن أرواحنا التي بين جنبينا غذاؤها هذه الطاعات، ماذا سنفعل؟ سنجاهد هذه الدابة من أجل أن تنتفض وتسير، فيبقى الإنسان مُتذكرًا.

من الأرباح التي استفدناها أن:

يبقى الإنسان ذاكرًا لربه.

يذكر أن ربه هو الذي يعينه على الطاعة، لكن عندما يغفل الإنسان فأول علامة تظهر للغفلة: التكاسل عن الطاعات. وهذه العلامة سببها انقطاع معاملة العبد مع ربه، نحن في شهر رمضان ثقيلة أبداننا، ثقيلة لا تستجيب، ننظر لها على أنها دابة ونأخذها نأخذها بالقوة ونستعين ونطلب الله ونرجوه ونخاف أن نُحرم، لكن عندما تأتي الأشهر التي بعدها ونحن ما ربحنا في هذا ستكون النتيجة أننا نكسل عن الطاعات وننسى أنه مطلوب منَّا قبل أن ندخل الطاعة أن نستعين بالله، فتنقطع الصلة مع الله وهذه المشكلة! عندما نخرج ولا نرابح تنقطع الصلة مع الله، أي يُصلي الإنسان الفجر ويقول أذكاره في غير رمضان كأنه يقول: انتهت علاقتي مع ربي! إلى الحياة! عندما يؤذِّن المؤذِّن يقول له: حي على الصلاة حي على الفلاح. يأتي، منقطع مغموس في الدنيا يفكر فيها، ماذا سيحصل؟ سيدخل صلاة الظهر وهو في حالة من الضعف، أين استعانتك؟! اطلب الله، جاهد، ابذل جهدك...انقطعت الصلة! وينظر للصلاة على أنها قاطعة لمشاغله! يُسرع فيها ما استطاع.

لا بد أن نعرف أن هذه العلامة خطيرة جدًا، أي عندما ندخل في مُرابحة مع ربنا الآن، فيكون أكثر شيء ندعوه أن يثبّتنا على الإيمان وأن يعيننا عليه وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته؛ لأنه إذا ما حصل هذا أصبح حتى الوقت الذي فُرض في الدين أن يكون خاصًا لله، حتى هذا الوقت يصبح ضعيفًا! والناس يكونون فيه غافلين.

فلذا أول الأشياء التي يجب أن نتفق عليها أن نكون في حالة حذر شديد عن التكاسل عن الطاعات بقوة الصلة برب العالمين، وكثرة سؤاله أن يعيننا: اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ترتيب أحوالنا على الطاعات، لا ننسى أن الله –عزَّ وجلَّ– قال في شأن المنافقين: {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}(١)

هذا كان تفصيل تحت قوة الصلة، بماذا ربحنا؟

رأس مربحنا من شهر رمضان قوة الصلة بالله في الطاعات، في العبادات، هذا أعظم مربح خرجنا به. حملنا أنفسنا على قوة الصلة بربنا، ناجيناه، كلَّمناه، غفلنا عن الإخلاص ثم رجعنا مرة أخرى، كادت قلوبنا أن تزيغ مع من يدعو للدنيا أو من يهتم بها، ثبتنا الله–الحمد لله–فلابد من المحافظة على هذا المربح، الذي يتمثَّل في كوننا لا نتكاسل عن طاعة الله أبدًا.

نأتي لأمر مهم وهو ربح من الأرباح العظيمة التي أتتنا بعد الصلة بالله وهو:

حسن التفكير في أفعال الله

سواءً كانت:

- أفعاله الكونية.
- أو أفعاله القدرية.
- أو أفعاله الشرعية.

(١) سورة النساء: ١٤٢.

حسن التفكير في هذا كله، تأتي تقول: لماذا كانت الكعبة قبلة للناس؟

لماذا لا بد للناس من قبلة في الصلاة؟

قدِّر لو ما كان هناك قبلة؟! قدِّر كيف كان سيتَّجه كل إنسان متضادًا مع من حوله! قدِّر هذا وستعرف كم لله من حكمة لهذه القبلة، كيف أن هذه القبلة أصبحت مهوى الأفئدة! وهي {بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ}[1] تصبح مهوى الأفئدة لأي شيء، وهناك حكم عظيمة من أهمها إقامة الدين؛ لأن الناس إذا اجتمعوا على هذا البيت العظيم أُقيم الدين؛ ولذلك {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ}[2]، يعني إذا بقيت هي قائمة بقي الناس قائمون، يقوم بها الدين.

المقصد أن من أعظم الأرباح التي استفدناها: حُسن التفكير، أي نفكر فنخرج بنتيجة أنه سبحان الله لو ما شرع لنا هذا التشريع كيف كان حال الناس؟! لو ما حكم بهذا الحكم كيف كان حال الناس؟! يرى السماء شاهدة والأرض والجبال، يرى الأقدار التي يعيشها كلها شواهد على هذا.

إذًا معنى هذا أن الرابح هو مَن جعل حُسن التفكير الذي اكتسبه من الصلة بالله مُذكرًا له بالله.

كلَّما فكّر تجده يُسبح الله تجده يذكر الله، فإذًا تذهب عنه الغفلة بسبب حُسن التفكير، أي يأتي في موقف مثلًا: ويأتي أحد يُضيّفه على الفطور أو الغداء، وله عائلة فقيرة، وهو هنا مع هؤلاء يأكل ما يشتهي، ثم يجد نفسه لا يستطيع تمامًا أن ينقل هذا لعائلته، فيتأمل الإنسان كيف أن أقرب الناس إليه هو لا يستطيع أن يوسِّع عليهم إلَّا إذا أذن الله له. يتوسع عليك أنت ولا يتوسع على أقرب الناس لك! الآن التفكير هذا الذي يحصل معنا حين تصفو نفوسنا هو من أهم مرابح الشهر الكريم.

حسن التفكير، تمر عليك مواقف تقول: نعم، أنا لا أستطيع أن أنفع نفسي حتى أنفع غيري، تأتيك لقمة لو ما أكلتها الآن فسدت، لا تستطيع أن ترحل بها إلى أهلك، تأكلها وقلبك يتمنى لو كانوا هم أكلوها، لكن أنت لا تستطيع أن توسِّع إلا على من أراد الله أن يوسِّع عليه.

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٧.

(٢) سورة المائدة: ٩٧.

يكونون أحبابك وتتمنى ألَّا يصيبهم مرض لكن أنت لا تستطيع. ترى الأرزاق كيف تُقسم وأنت لا تستطيع أن تتدخل في قسمتها!

حسن التفكير هذا من آثار الصلة بالله -عزَّ وجلَّ- وهو من الأشياء التي يجب علينا ألَّا نتركها ولا نغفل عنها.

نقرأ تربية الله ونرى آثار كمال الله في معاملته لخلقه، ونحذر من الغفلة عن هذا الباب.

إذًا نحن نحذر من الغفلة عن الطاعات من أن يحصل فيها تكاسل، ونحذر من ترك حُسن التفكير بالله -عزَّ وجلَّ- فيحصل عكسه، يحصل ترك حُسن التفكير بالله -عزَّ وجلَّ- وفي آثار أفعاله، ويبقى مهتمًا بالأسباب المادية والأشياء المُجردة المرئية، هذا شأن خطير جدًا.

أيضًا من الأرباح تحت قوة الصلة بالله:

استعظام المحرمات واستنكارها.

وربحنا دعاء الله بأن يسخِّر لنا الطيبين المؤمنين الأتقياء، فالعبد في هذه الحال يرى الذنوب فظيعة خطيرة! ويخاف أن يسحبه أحد صاحب ذنوب؛ لأنه يريد أن يقترب {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}[1] فهؤلاء يكونون مُعيقين للإنسان.

لكن لو غفل الإنسان عن هذا استصغر المحرمات وتهاون بها فيحصل له من قسوة القلب ما لا يُتصور، وقد قال ابن مسعود: "إنَّ المؤمنَ يرى ذنوبَه كأنه قاعدٌ تحت جبلٍ يخاف أن يقعَ عليه، وإن الفاجرَ يرى ذنوبَه كذبابٍ مرَّ على أنفه، فقال به هكذا"[2].

من المرابح التي ربحناها: أن نفوسنا مع صلتها بالله هجرت المعصية وأبغضتها، كانت تستعظم المحرَّمات، تخاف من صحبة السوء، تريد أن الذي يجتمع معها يكون من أهل الخير، فكانت النتيجة من هذا الربح ربح آخر أنها تستقبح المعصية وتبغضها وتخافها، عندما نبقى نعامل ربنا والإنسان أكيد سيبقى باغضًا للمعصية، أما أن يألف المعصية ويحبها فهذا شأن لا يكون أبدًا إلا عندما يخسر المعاملة مع ربنا، أي أن الإنسان لا يقبل على نفسه-حتى لو وقع في المعاصي-أن يكون قلبه مكان لمحبتها، هناك فرق بين أن

(١) سورة العلق: ١٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦٣٠٨).

أقع في معصية تدفعني الشهوة إليها أو تدفعني شبهة إليها، وبين أن يكون لها في القلب محبة، أن يكون لها في القلب محبة مصيبة كبيرة! معناه أن هذا القلب يحب ما يبغض الله، ومعناه أنه يحتاج إلى إصلاح شديد، بحيث أن تكون محاب الله مقدمة على محابه، ومساخط الله مقدَّمة على مساخطه.

من المرابح التي خرجنا بها من هذا الشهر:

العناية بالوقت.

لما اشتدت صلتنا بالله صرنا نرى الأوقات شيء مهم، وأن في هذا الوقت تُدرك تسبيحة، وقال تعالى في ليلة القدر: {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}[1] وهنا استغفار وهنا تفكُّر وهنا إرشاد للمسلمين وهنا إحسان إليهم وهنا من صنوف الطاعات وتزكية النفس أخذنا أبوابنا الحمد لله.

والمقصد أن المسلمين فيهم من الخير العظيم الذي يجعلهم ينتفعون من هذا الشهر بأن يأخذوا أطرافًا من الخير كله، متى يغفلون ويخرجون من الربح؟ عندما تنكسر هذه النقطة عندهم، يصبح الوقت عندهم ليس ذا شأن، والأيام هي التي تقطعك إلى ربك، فتضيع الأوقات بلا فائدة وقد ورد في الحديث: ((نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفراغُ))[2]، فلا بد من ملاحظة هذا الربح، ملاحظة ربح الصلة مع الله وما أتى وراءها، متى يفقد الإنسان التجارة هذه؟ بكلمة مختصرة عندما يحب الدنيا! حب الدنيا رأس كل خطيئة، الله-جل وعلا-يقول: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}[3] سنجد أن حب الدنيا يجعل الإنسان في خسارة عظيمة من معاملة الله؛ لأن هذان الأمران لا يجتمعان أنت تحب الدنيا وتريد أن تعامل الله، إنما تعامل الله من وراء الدنيا، يزهّدك فيها تزهد، يمنعك عنها تمتنع، يضيّق لك تبقى صابرًا، يوسعها لك تتوسع وأنت منتفعًا بالسعة للقرب، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ* يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}؛ ولذا الله -عزَّ وجلَّ- يبيّن الربح والخسارة في القرآن أنه ليس المال والبنون والشهوات هذه هي الأرباح، وإنما الأرباح أن ينظر الله -عزَّ وجلَّ- إليك فيجدك مُقبلاً عليه، {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}[4] هؤلاء القوم سكروا بالدنيا وأصبحوا يعاملونها

---

(١) سورة القدر: ٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦٤١٢).

(٣) سورة الروم: ٦-٧.

(٤) سورة الحجر: ٣.

كأنهم مخلدين فيها، وقد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[1] لا تغرك الدنيا، أنت في الدنيا موجود لتعامل الله، أنت موجود لتبقى صلتك بالله، لقد خُلقت للمعاملة مع الله، وليس كمن يفهم الحياة أنه خُلق في الدنيا ليستمتع بالشهوات، فتجده إن أحبّ أحبّ للدنيا، وإن عَمل عَمل للدنيا، وإن خاصم خاصم للدنيا، الله المستعان!

إذًا هذا السبب الأول والمهم لوقوع الغفلة وعدم العناية بالصلة برب العالمين: **حبّ الدنيا**. حبّ الدنيا شيء خطير، حب الدنيا يأكل قلب الإنسان فتأتي أوامر الله وتأتي أقدار الله فلا يستجيب حُبًّا للدنيا وتمسكًا بها.

أيضًا من أسباب وقوع هذه الغفلة: **الجهل بالله**.

لا يعرف هو مَن يعامل؟! فتجده في رمضان مع الصائمين ومع المصليّن الدّاعين -الحمد الله- لكنه لا يعرف الله حقّ المعرفة بحيث يبقى طوال وقته وطوال زمنه متعلقًا، وعندما يحصل منه الخطأ أو يحصل منه الذنب، تجده مستغفرًا الله، فتجد الجاهل الذي يجهل الله -عزَّ وجلَّ- لا يعتني بمعاملته ولا يحتسب عليه أعماله، ولا يفكر أن ارحم ضعفي حين ألقاك وارزقني قبولك لهذا العمل واسترني كما سترتني في الدنيا...وهكذا، لا يوجد هذا الحال، ليس متصورًا أنه مُتصلٌ بالله، أن الله عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى وهو مع الخلق -سبحانه وتعالى- محيط بهم، أما فكرة النصارى هذه التي انتشرت مؤخرًا من سنين عديدة طبعًا لكن للأسف دخلت بثوب قشيب عند المسلمين، وهي فكرة عجيبة! أن الله -عزَّ وجلَّ- خلق الخلق وأعطاهم كل الموارد وتركهم في الأرض يتصرفون! فهو لا قائم عليهم ولا مُعين لهم، وطبعًا الأدهى والأمرّ ولن ينقلبوا إليه! ليسوا كلهم يقولون لن ينقلبوا إليه لكن كثير منهم يعتقد هذا، فتصوروا أشخاص يظنون أن الله في السماء خلق الإنسان وتركه هو يتصرف، ما أعظم الجهل بالله -عزَّ وجلَّ- !

الذي يتصور أن الله تركه يتصرف، هذا حين تقول: له كن ذا صلة بالله والله هو القائم عليك والله هو الذي يدبرك والله يعطيك ويمنعك...أين تجد في قلبه هذا؟! هو يشعر أن ربنا خلقه وتركه هو يتصرف، هذه الفكرة في الأساس ليست موجودة في ديار الإسلام والحمد لله، لكن آثارها متسربة علينا أن ربنا خلقنا، بقي علينا أننا نجري ونسعى، والصحيح أن السعي هنا سعي القلب والجري جري الفؤاد، يريد المغفرة والتوبة، ويريد بكل خطوة يتحرك فيها يتقرب ولا يبعد {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}.

(١) سورة فاطر: ٥.

أيضًا من الأسباب التي تجعلنا نخسر هذه العلاقة العظيمة التي حصلت بين العبد وربه نتيجة طاعته، من أسباب الغفلة عن هذه العلاقة: الصحبة السيئة؛ ولذا يقول الله –عزَّ وجلَّ– إن العبد يقول: {يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}[1] فهذا من أسباب غفلة الإنسان عن طاعة الله –عزَّ وجلَّ– وعن المحافظة على هذا القُرب بينه وبين ربه.

أيضًا من الأسباب: **طول الأمل**، استفِد من اليوم من أجل أن تربح، استفِد من اليوم من أجل أن تبقى صلتك بالله وهو أعظم مربح لك، الآن في هذه الساعة جاءك الاختبار، في هذه الدقيقة أتتك الرفعة، افعل هذا ولا تتأخر، فطول الأمل مُفسدٌ على العبد تفكيره ومُفسد عليه سلامة قلبه الله المستعان!

على كل حال، علينا أن ننظر إلى ما نحن خارجين منه على أنه كان زادًا، وعلى ما نحن مقبلين عليه على أننا نزداد منه كل يوم ربحًا بمادة الربح الأساسي التي ربحناها وهي الصلة بالله.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن نكون ممن أحسن صلته بربه، وانتفع بهذا لما ذاقه، وحافظ عليه وجعل الأيام التي تتلوه وتأتيه سببًا لزيادة قوة الإيمان وللأرباح، اللهم آمين.

إن شاء الله نلقاكم وأنتم على خير حال في شهرنا المبارك رمضان من عامنا القادم اللهم آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) سورة الفرقان: ٢٧-٢٩.